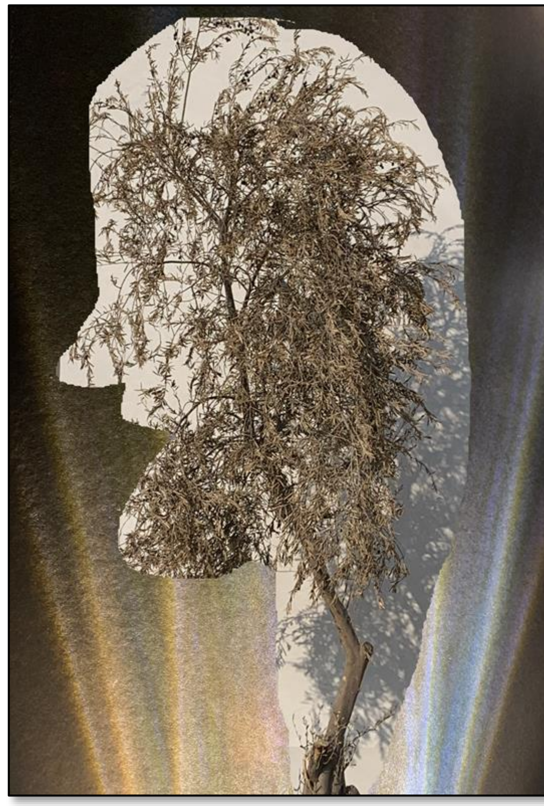
# مواطنٌ بلا وطن

حلمي صابر - جمادى الآخرة ١٤٤٦هـ



صامتٌ حتى صار الصمتُ يكلمني

لِمَ يا صمتُ: صمتك يزعجني

صمتكَ ضجيجٌ

سكونٌ ، لا معهُ حرفٌ ولا كَلِمُ

مواطنٌ بلا وطن

وطني السجنُ ، وعنواني زنزانةٌ ، وهويتي رقمُ

سأصمتُ متسائلاً

وهل من البغيِ حتى الصمتَ ينسجنُ !

قالوا: الكلام في زمن الصمت حمقُ

أحقا ؟!

أم هي أعْذَارُ الجبان تدَثره الجَبْنُ

من الكلام حقٌ

الكلام سيفٌ يقطعُ سَوْطَ البغيِ والظُلْمِ

والكلام ضياءٌ يستضاء به في دلجةِ الظُلَمِ

والصمت وقار ، لكنه في زمن الاستبداد فرارٌ

فلِمَ بلسان الصمت تَفِرُ ؟!

أعاتبكَ وأعاتبُ نفسي

أَأَفْلَقَ الصبحُ عن جبانٍ ؟

أم تَزَمَلَّ بحكمةِ الصمتِ كَذِبُ

صمتنا وخَدَعتْنا أنفسنا

والصمتُ عن جبننا ، أنَبأنا

... لحظة صمت ...

يا صامتا: في زمن الصمت
رقصَ الأعمى وغنَّى الأبكمُ
بصوتٍ عالٍ صَخِبُ
وليستِ الكعبةُ بعيدةً عنهمُ ولا الإفتاءُ ولا الأزهرُ
فرق المخابرات والأمن
آلاتهم عزفٌ صارخٌ
أوتارهُ السوطُ والحبلُ
ألحانهم عزفُ الموتِ
منصةُ مسْرحهِم مسفوحةً دمٌ وقبرُ
على صياح التعذيب رقصوا
وبأنغام صعق الكهرباء احتفلوا
بالتعذيب والتجويع
غنَّى مغنيهم بلا دفٍ ولا طبلُ
اهتزتْ إليَّاتُ نسائهم ، والرجلُ بالرجلِ لَصِقُ
أهنأ يا وطنْ ، ما عدتَ تستحي !. ارقصْ واضربْ واجلدْ واقطعْ. صمتَ السمعُ والبصرُ

في باحاتِ السجون حفلتهم
حضرَها قاضي الظلمِ والسجانُ والمدَّعِي الكَذِبُ
نزلَ من العامود حبلٌ

سحبوهُ ، عقدوهُ ، علقوا المسجون

قالوا له تَشَهَّدْ

ابتسمَ المسجونُ ساخرا قبل أن يغطوهُ

قال للباغين : يومُ القيامة أنا خصمكمُ ، وربي بيننا الحكَمُ

مثاقيل الموازين الذرُ

لا جورٌ ولا بخسٌ ولا شططُ

أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

فَتحتْ الحفرةُ فمَهَا

فابتلعتْ من حبلوا

أتعلمْ من شنقوا ؟!

شيخُ القرآن وشيخ العقيدة وشيخ الحديث

ليس فيهم جرحٌ ، ليس فيهم جاميٌ

كلهم عدْلُ

وسدتُ تراب قبري قبلُ

أحملُ رحيلي من الأمس وليس غدُ

سأرحلُ مظلوما وأنت ظالمي

ولن تضيعَ مظلمتي عند الديانِ العدلُ

مضتِ الأيامُ ،

ويوما يا سجَّانُ أفقتَ بخطبة الجمعة التي

نموذجٌ وتعميمُ

والخطيب خائف من زلةٍ

بل حتى دعاءه عليه رقيبُ

لم تعِظكَ سجون المزةُ وتدمرُ وصيدیانا والعقربُ والغريبُ وزعبلُ والرزينُ والحائرُ الجائرُ وجوانتانامو

كل سجونكم ملأى أينما توجهتَ شرقا وغربُ

وخزَكَ ضميرك، برَقَ للحظةٍ، أردتَ أن نتوبَ

فبحثتَ عن مسجونك لتعتذرَ له ؛ ومنك يقتصُ

لكن مظلومك ، طواهُ الترابُ

حَفَرَ قبْرَهُ قاضيكَ وجلادهُ والكَذِبُ

فرجعت بحسراتك مكؤوبا

فعشْ حزينا كئيبا

وأحزانُ الصمتِ في صدرك ضجيجُ

عيناك أسهرتك، وهل ينام من كان كئيبُ

والكلامُ لازال ممنوعا

ولا زال الصامتُ بصمتهِ مصموتُ

ليلٌ طويلٌ مظلم

وخلفَ الظلامِ نورُ

لن نحزنَ ؛ فبعد الليلِ فجرٌ

كل يوم بعد صلاة الفجر له شمسٌ وشروقُ

أنا حزين عليك، حزين على سقوطك

كلما أوغلتَ تبتغي محطةً ، تبغتي شاطئا ، تبتغي نجاةً

يتراكم الضباب ثقيلا وأثقلُ

لا تدرِ عن دربك أمستقيم ! أم هو ملتوٍ معووجُ

نهايته هاوية ، فهويتَ

لم استطعْ تنبيهك فلساني مقطوع

وقلبي مكسورٌ

وأصبعي مبتورُ

وجوهنا ممزقة، وجلودنا محرقة، وشفاهنا مشققة، وعظامنا مكسرَّة، وأجسادنا مكهربة

حتى من التعذيبِ نشوى على نارٍ مَشْموعُ

لم استطعْ الصمتَ، تكلمتُ وأنا صامت

وبعض الصمتِ ، عن الكلام أبلغُ

قالتِ العربُ في حكمتها

لا تعطينَّ الرأيَ من لا يريدهُ ، فلا أنتَ محمودُ، ولا الرأي نافِعهُ

محبًا أشيرُ عليك: اخرجْ المظلومين من الحبس. المظلومون لهم نشيج يئنُ في ثلث الليل الآخر وربنا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا في آخر الليل للسائلينَ من هؤلاءِ وغيرُ يعرفونه ويعرفهم سبحانه، فاتقِ دعوة المظلوم نخلف المظلومين أطفال وزوجات وأمهات وآباء كثيرٌ منهم عليك يدعو !. فاحذرْ أن تكون على أكُفِّ المظلومينَ موضوعُ

هداكَ ربي وشرحَ صدرك وأيقظَ ضميرك ورفعتَ عن نفسكَ الظلمَ ، وصيرَّتَ الميزانَ موزونُ

يا مديرَ الحبسِ: تمنعكَ شُرُطَكَ وحراسُك

فإذا نزلَ بساحتكَ الدعاءُ

أينَ عنهُ سَتفِرُ ؟!

ومنْ سيمنعكَ عن ربنا اللهُ

___________

انتهى